الإعلام والمجتمع

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 17 يونيو 2018

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

منذ عدة أيام والناس لا تتحدث ولن تتحدث إلا عن كأس العالم في روسيا، وكأن العالم ليس به حدث يجري إلا هذا الموضوع.

من الذي أعطى كأس العالم كل هذا الاهتمام العالمي ؟

وفي المقابل، وفي مكان آخر نرى بعض الشخصيات التي كانت نكرة ذات يوم، نجدها أصبحت بين ليلة وضحاها نجوم مجتمع (فشنيستا)، تتحدث عن القضايا والمشاكل الاجتماعية عبر بعض الوسائل المجتمعية الحديثة، ليس ذلك فحسب، وإنما غدت هذه الشخصيات هي نجوم المجتمع، وتدعى إلى القنوات الفضائية للتحدث والحوار وإبداء الآراء سواء كانت هذه الآراء مهمة أو سخيفة، ليس ذلك مهما، وإنما المهم أن تظهر هذه الشخصيات الهامشية وتبرز في المجتمع، وتصبح قدوات للشباب من الجنسين. ومرة أخرى من أعطى هؤلاء الفرصة للظهور ؟

وربما لو تحدثنا بهذا الأسلوب فسنجد أنفسنا نخوض في أمثلة كثيرة، وشخصيات أكثر لم تجد لها طريقًا من خلال العلم والمعرفة، لكنها برزت من خلال بعض الوسائل الإعلامية التي

تبحث عن هذه الشخصيات المهزوزة، التي تحب الظهور، فصنعوا منهم أبطالاً، وكأنهم يقولون للشباب العربي؛ ليس مهمًا أن تدرس وتتعلم وتتخرج ويكون عندك شهادة فكل هذه الأمور هراء، وإنما يجب أن تكون تافهًا حتى تبرز إعلاميًا.

إن فلسفة الإعلام – كما نؤمن بها – تقوم على تزويد الجماهير بالحقائق المجردة، بهدف بناء عقولهم بناءً سليمًا بصورة طبيعية، وأن المعلومات التي يجب أن تتناولها أجهزة الإعلام يجب أن تتسم بالموضوعية، كما أن الفرد في ظل هذه الفلسفة يتمتع بحرية مطلقة، ويستطيع أن يفعل ما يحلو له، إن تجنب المقدسات الأساسية، وليس لأحد التدخل في شؤونه وحياته.

فالإعلام هو التعريف بقضايا العصر وبمشاكله، وكيفية معالجة هذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام أو دولة من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخليًا وخارجيًا، وبالأساليب المشروعة أيضًا لدى كل نظام وكل دولة.

قال العالم الألماني «أوتوجروت» إن الإعلام «التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه».

هذا ما ينبغي أن يكون عليه الإعلام، ولكن واقع الحال يختلف تمامًا، فأصبح الإعلام اليوم يعتمد على تزويد الناس بأكبر قدر من الأكاذيب والضلالات وأساليب إثارة الغرائز، ويعتمد على الخداع والتزييف والإيهام، وقد ينشر الأخبار والمعلومات الكاذبة، أو التي

تثير الغرائز، وتهيج شهوة الحقد، وأسباب الصراع، فتحط من مستوى الناس، وتثير بينهم عوامل التفرق والتفكك لخدمة أعداء الأمة، وحينئذ يتجه إلى غرائزهم لا إلى عقولهم، وهذا ما يجري في العالم العربي الإسلامي من خلال جميع وسائله الإعلامية باستثناء البعض.

وحتى نكون منصفين وموضوعيين، ولا نكون متحاملين على أي جهة، فإننا يمكن أن نطرح بعض الأمثلة مع احترامي لبعض الشخصيات التي سوف نذكرها؛

اللاعب البرازيلي (نيمار دا سيلفا سانتوس جونيور) المشهور (بنيمار) كان يلعب في فريق برشلونة بجانب اللاعب (ميسي)، وفي 2 أغسطس 2017 أعلن نادي برشلونة رغبة نيمار في مغادرة النادي إلى نادي (باريس سان جيرمان)، ولأن النادي الأخير تمتلكه واحدة من المحطات الفضائية أصبح هناك لغط كبير حول هذا اللاعب، هل سينتقل أم سيبقى في ناديه الأصلي، والناس تتكلم في كل المجالس عن نيمار هذا، فأصبح هذا الاعب أسطورة كروية، سواء انتقل أم لم ينتقل، والجميع يتحدث، المحطات التلفزيونية تتحدث، والصفحات الرياضية تتحدث عن هذا الأسطورة، وعن زميله الأسطورة الثاني ميسي وعن نادي برشلونة، والكثير من اللغط والكلام والتحليل الرياضي، واستمرت كل هذه المحادثات تدور عدة أشهر، لماذا ؟ ولمصلحة من ؟ ماذا نستفيد إن انتقل نيمار وذهب إلى حيث يريد ؟ ماذا نخسر نحن إن خسر برشلونة أو ربح

الفريق الآخر؟ متى أصبحت هذه القضايا ذات أهمية؟ ولماذا أصبحت مثل هذه القضايا ذات أهمية ؟

لماذا أصبح شخص مثل ميسي قدوة وأسطورة ؟ وهو الذي زار فلسطين ووقف عند الحائط وبكى، وقدم للصهيونية كل دموعه ؟

ومرة أخرى وما زلنا في ملاعب كرة القدم، واللاعب العربي محمد صلاح الذي أصبح ينافس الفاتح صلاح الدين في نشر الإسلام والفكر الإسلامي لمجرد أنه كان يسجد في الملعب عندما يحرز هدفًا.

وسقط محمد صلاح عندما احتك براموس، فسقط لاعب على كتفه في ملعب كرة القدم فتألم العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، ولكن المسجد الأقصى سقط في نفس تلك الفترة ولم نسمع كل هذا الأنين وتلك الصرخات، لماذا ؟

وفي مكان آخر، تسلط الأضواء وخاصة في شهر رمضان على كم هائل من المسلسلات العربية التي تأتي إلينا من كل حدب وصوب، وكلها مسلسلات تتحدث عن أناس ومجتمعات تعاني من حقد الإخوة وكراهية الآباء وشذوذ المجتمعات العربية التي تحاول أن تخفي الخطيئة بقدر ما تستطيع، ومن جانب آخر بدأ بعض من هذه المحطات العربية تهاجم الإسلام نفسه، إذ إنها لا تستطيع أن تفرق بين الإسلام الحقيقي والجماعات الإرهابية، فهي بدلاً من كشف الحقائق وتوضيح الأخطاء فإنها تهاجم الإسلام على اعتبار

أن الإسلام هو الدين الذي يحتضن وينمي الإرهاب، والغريب أن هذه المحطات التلفزيونية لم تتطرق قط، وأكرر لم تتطرق قط، إلى المذابح التي يتعرض لها المسلمون في بقاع الأرض، دعوا المسلمين في بقاع الأرض، لنتحدث عن الإخوة والأشقاء في فلسطين، كم مسلسل تعرض للقضية الفلسطينية هذا العام ؟ كم مسلسل حاول أن يوضح الحقد الصهيوني والأمريكي ومخططاتهم التي تريد أن تطيح بالعالم العربي ؟ أليس هذا موضوعا مهما، أم أنهم لا يجرؤون على ذلك ؟

أعتقد أن المحطات العربية الفضائية لا تجرؤ، وأكرر لا تجرؤ للتعرض للقضية الفلسطينية وتوضح المذابح والحقد اليهودي ضد المسلمين، لا تجرؤ حتى على التحدث عن هذا الموضوع، كم مسلسل أنتج يتحدث عن مثل هذا الموضوع ؟ ربما يحصون على أصابع اليد الواحدة.

لماذا التركيز والإصرار على الشتم والقذف والجرائم المجتمعية الصغيرة ومحاولة إبرازها وتحويلها إلى ظواهر وكأن المجتمع كله يعاني من تلك المشاكل.

لا ننكر أن مجتمعاتنا تعاني، فنحن لسنا في الجنة، ولكن الإصرار على إبراز مثل هذه المشاكل في كل المسلسلات العربية يجعلنا أمام سؤال كبير: لماذا ؟ ما الهدف المنشود من وراء ذلك ؟ هل يريد أصحاب هذه المحطات التلفزيونية ويسعون إلى تحطيم كل

القيم والأخلاقيات التي مازالت تتمتع بها مجتمعاتنا، بحجة أن ما يقدمونه يمثل الواقع ؟

لسنا في الجنة، ومجتمعاتنا ليست مجتمعات مثالية، ولكن هناك الكثير من الجيد في مجتمعاتنا لماذا لا يتم إبرازها جنبًا إلى جنب مع كل هذا الهراء الدرامي الذي يزعمون ؟

وفي نهاية الموسم يأتون بالممثلين ويقدمونهم على الشاشة وكأنهم استرجعوا الأندلس أو الأقصى، يقدمونهم ويأخذون أفكارهم ويسمعون حواراتهم، وكأنهم نجوم، وفي المقابل فإن هذه المحطات لا تحاول أن تدخل المستشفيات لتصور وتقدم إنجازات الأطباء والمهندسين وعباقرة الوطن العربي، فهؤلاء ليس لهم مكان على الشاشات التلفزيونية الفضائية، وعندما تسأل لماذا، يأتيك الجواب الغبي: لأنهم ليسوا نجوما فلا أحد يريد مشاهدتهم، أتدرون لماذا ؟ لأنكم أنتم – أصحاب الفضائيات – قمتم بتغيير البوصلة، فبدلاً من جعل العلماء نجومًا جعلتم من التوافه نجوما.

ومرة أخرى إلى كأس العالم، ولا أريد أن أتحدث كثيرًا عن هذا الموضوع، فيكفيكم أن تسمعوا كل الأحاديث والحوارات التي تجرى في المجالس والشوارع ووسائل التواصل الاجتماعي، فالكل يتحدث عن كأس العالم، والدول العربية التي دخلت كأس العالم، وماذا يمكن للدول العربية أن تعمل في كأس العالم، وكلام

وحوارات وتحاليل كروية، وكلام كبير، وكأن العالم كله انصهر في روسيا هذه اللحظات، لماذا ؟

أليست لدينا قضايا مصيرية يجب أن نتحدث عنها والتفكير فيها؟

تحولت كل الأعمدة الصحفية التي كانت تتحدث عن معاناة الناس والبشر إلى أعمدة صحفية تتحدث عن كأس العالم. أين اختفت قضايانا الحياتية البسيطة ؟ لماذا اختفى الحديث عن قانون التقاعد الجديد؟ أين قضايا الإسكان والمعاش وما إلى ذلك؟ كل ذلك خطفتها الأضواء، فأصبحت كل تلك الأصوات تتكلم عن حفل افتتاح كأس العالم.

ترى كم دفعت الدول العربية حتى يبلغ فريقها روسيا، منذ اللحظات الأولى حتى بلوغها روسيا لتلعب في كأس العالم ؟ ألم يكن من الأجدى أن تصرف هذه المبالغ على الشعوب العربية التي تعاني الأمرين ؟ تعاني الضرائب تارة وتارة أخرى تعاني ارتفاع الأسعار الجنونية؟ لماذا هذا اللهث خلف هذا الأمر ؟

للأسف أصبح إعلام اليوم هو من يصنع الأحداث، وهو من يدير عجلة التنمية والاقتصاد والسياسة وهو من يقرر ما هو الصح وما هو الخطأ. ولكن ما يندى له الجبين هو ان إعلامنا في الوطن العربي إعلام تابع وليس إعلاما مستقلا، فهو يتبع الإعلام الغربي تارة والإعلام الشرقي تارة أخرى، فلا يوجد لدينا إعلام عربي مستقل،

إعلامنا ليس له هوية عربية خاصة به وإنما هو إعلام مقلد، يأخذ من الشرق والغرب مشاهد وأحداثا ومسلسلات وبرامج وينسخها بصورة مشوهة ليحولها إلى النسخة العربية اعتقاداً منه أن الشعوب العربية مازالت تعيش في عصور الظلام، وأنهم يمكن أن يصدقوا كل ما يقال لهم وكل ما يعرض عليهم.

إلى ماذا نحتاج إذن ؟

نحتاج إلى إعادة توجيه منظومة الإعلام في الوطن العربي لتخدم قضايانا وحياتنا وفكرنا، وليس فكر وحياة الآخرين.